القسم الثاني

رسائل وفتاوى

العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين

المتوفى سنة ١٢٨٢

رحمه الله تعالى

طبع بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز آل سعود

أيده الله تعالى

الطبعة الأولى في سنة ١٣٤٥

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم في كلام الله تعالى هل هو مخلوق أم لا . فذكرت أن اختياركم الوقف فلا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، وزعمت أن الخلاف في ذلك لفظي .

فأما قولكم إن الخلاف فى ذلك لفظي فليس الامر كذلك ، وإنما يقال الخلاف لفظي بين المعتزلة والاشاعرة ، لان المعتزلة يقولون كلام الله مخلوق ، والاشاعرة يقولون ليس بمخلوق والكلام عندهم المعنى ويقولون الحروف مخلوقة ، فقالت المعتزلة لا خلاف بيننا وبينكم لان الكلام هو الحروف فاذا أقررتم بأن الحروف مخلوقة ارتفع النزاع فيكون الخلاف بين الفريقين لفظيا

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو مخالف للمذهبين خلافا معنويا لانهم يقولون كلام الله غير مخلوق والكلام عندهم اسم للحروف والمعاني فتبين بذلك غلط من قال إن الخلاف فى ذلك لفظي . ومذهب أهل التوحيد والسنة ان الله يتكلم بحرف وصوت وان القرآن كلام الله حروفه

ومعانيه ، وأن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة والقرآن والسنة يدلان على ذلك دلالة صريحة ولله الحمد والمنة قال الله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وكلم الله موسى تكليما) ففرق بين الايحاء المشترك وبين التكليم الخاص وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال تعالى (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وقال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) وقال تعالى (ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) وقال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقال تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه) وقال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) والآيات في ذلك كثيرة

وأما السنة فأكثر من أن تحصى منها أمره صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بكلمات الله في عدة أحاديث، وقوله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » فمن قال إن الله لايتكلم فقد رد على الله ورسوله وكفره ظاهر

وقد ذكرتم ان العرب يضيفون الفعل الى غير الفاعل فهذا لاينكر أعني وجود المجاز في لغة العرب . وأما وقوع المجاز في القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية وذكر ان أكثر الائمة لم يقولوا ان في القرآن مجازاً ، ورد القول بوجود ذلك في القرآن واستدل له بأدلة كثيرة وعلى تقدير جواز وجوده في القرآن ، فمن المعلوم انه لايجوز

صرف الكلام عن حقيقته حتى تجمع الامة على انه أريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا إلا على ذلك ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل أحد مابت شيء من العبادات ولبطلت العقود كلها كالانكحة والطلاق والاقارير وغيرها ، وجلّ الله أن يخاطب الامة إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . وأيضاً فالكلام اذا قام الدليل على ان المتكلم به عالم ناصح مرشد قصده البيان والهدى والدلالة والايضاح بكل طريق وحسم مواد اللبس ومواقع الخطأ ، وان هذا هو المعروف المألوف من خطابه ، وانه اللائق بحكمته لم يشك السامع في أن مراده هو مادل عليه ظاهر كلامه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في أثناء كلام له . ومعلوم باتفاق العقلاء أن المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه مايدل على ارادة المعنى المجازي فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بيّن للناس ما أنزل اليهم يعلم ان المراد بالكلام خلاف مفهومه أو مقتضاه كان عليه أن يقرن بخطابه مايصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرده لاسيما اذا كان لا يجوز اعتقاده في الله فانه عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا في الله مالا يجوز اعتقاده واذا كان ذلك مخوفا عليهم ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة هو اعتقاد باطل — الى أن قال : وهذا كلام مبين لا مخلص لأحد عنه انتهى .

وأيضاً فالادلة الدالة على أن الله يتكلم حقيقة أكثر من أن يمكن ذكرها هاهنا منها ان الله سبحانه فرق بين الايحاء المشترك بين الانبياء وبين التكليم الخاص لموسى فقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى

نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وكلم الله موسى تكليما) فلو لم يكن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة لم يكن له مزية على غيره من الرسل ولم يكن في تخصيصه بالتكليم فائدة ولم يسم كليم الله وقد قال تعالى (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وأيضاً فقد قال الفراء إن الكلام أذا أكد بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة ، وقد أكد الفعل بالمصدر في قوله (وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (واذ نادى ربك موسى) وقال (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) وقال (فلما أتاها نودى ياموسى إني أنا ربك) وقال تعالى (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الايمن) الآية ففي هذا ونحوه دلالة صريحة أن الله كلم موسى وناداه بنفسه بلا واسطة، وموسى سمع كلام الله ونداءه لانه لايجوز لغير الله أن يقول (إني أنا الله رب العالمين) وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه في كتاب الرد على الجهمية عن الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال نعم ياموسى هو كلامي وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسن كلها وأنا أقوى من ذلك ، وانما كلمتك بقدر مايطيق بدنك ، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمتّ . فلما رجع موسى الى قومه قالوا صف لنا كلام ربك . فقال سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم . قالوا فشبهه ، قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله

وروى عبد الله بن أحمد في كتاب السنة قال حدثني محمد بن بكار قال أخبرنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال قال بنو اسرائيل لموسى

بم شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق ؟ قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع . وأيضاً في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه ، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل » وروى جابر بن عبد الله قال : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر « ألا أخبرك ماقال الله لابيك ؟ » قال بلى . قال « وما كلم الله أحداً الا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا قال ياعبدالله تمن علي أعطك . قال يارب تحييني فاقتل فيك ثانية . قال انه سبق مني انهم اليها لا يرجعون . قال فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله عزوجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) » رواه ابن ماجه وغيره . ففي هذين الحديثين مايبطل دعوى مدعي المجاز ويدحض حجته ويرغم أنفه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « مانقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه » يعني القرآن . وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت فلن تتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرىء عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال ان هذا كلام لم يخرج من الرّ يعني رب فوضح بما ذكرناه ان الله يتكلم حقيقة وان من ادعى المجاز بعد هذا البيان فقد شاق الله ورسوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

فصل

وقد ذكرتم ما استدل به بعض المعتزلة على ان كلام الله مخلوق وهو قوله تعالى (هو الاول والآخر) ولا يشك من له عقل أن من دل الخلق على ان كلام الله مخلوق بقوله (هو الاول والآخر) لقد أبعد النجعة وهو إما ملغز وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين وقد قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مع انه ليس في هذه الآية شبهة لمن احتج بها فلله الحمد والمنة ولا يشبه بها الا من أزاغ الله قلبه على رعاع الناس ، نسأل الله العافية .

وقلتم الحروف يلزمها التعاقب ويتقدم بعضها بعضا فيلزم أن تكون مخلوقة . قلنا انما يلزم التعاقب في حق من يتكلم من المخارج ، والله سبحانه غير موصوف بذلك . وأيضا فواجب على كل مكلف التسليم لما جاء في الكتاب والسنة ولا يعارضه بزخارف المبطلين وهذيان الملحدين ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم

فصل

وقلتم إن القول بأن القرآن غير مخلوق لم يقله السلف ، وان عدم القول بذلك هو الصواب ، وانه هو اعتقادكم فلا تقولون : مخلوق ولا غير مخلوق . فأما قولكم ان هذا القول لم يقله السلف فلا ندري من تعني بالسلف عندكم ، فان كان يعني بالسلف عندكم جعداً وجهما وابن أبي دؤاد واتباعهم كأبي علي الجبائي وأبي هاشم واتباعهم من الجهمية والمعتزلة فصدقتم بأن هؤلاء لم يقولوا هذه المقالة وانما قالوا القرآن مخلوق وبُعداً لمن كان هؤلاء سلفه ، واستبدل سبيلهم بسبيل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته

وما عوض لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الامين

وان كان يعني بالسلف عندكم الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام الذين لهم لسان صدق في الامة الذين رفع الله قدرهم ، وأعلى منزلتهم ، الذين هم سلف الامة حقا ، فأخطأتم في نسبة عدم القول بذلك اليهم فانهم كلهم مجمعون على ان القرآن كلام الله غير مخلوق . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدا واليه يعود . ذكر هذا الكلام عن علي الشيخ الحافظ عبدالغني المقدسي ، وذكر أيضا عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس انهما قالا القرآن كلام الله منه بدا واليه يعود .

فقولهم رضي الله عنهم منه بدا أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق في الهواء أو غيره أو بدا من عند غيره . وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف

والصدور فلا يبقى منه في الصدور كلمة ولا في المصاحف منه حرف.

وقال سفيان بن عيينة سمعت عمرو بن دينار يقول أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود. رواه محمد بن جرير وهبة الله بن الحسن الطبريان في كتاب السنة لهما. وقد أدرك عمرو بن دينار أبا هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا يدل على شهرة القول بذلك في زمن الصحابة الذين ادركهم عمرو بن دينار، وعلى شهرته عند التابعين، وانهم كلهم على ذلك. وقال البخاري حدثنا سفيان بن عيينة قال أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، فعمرو بن دينار حكاه عن مشيخته والناس، وسفيان حكاه أيضا عن مشيخته، فهذا صريح في الدلالة على اشتهار هذا القول في القرون التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة الاسلام في ذلك أكثر من أن يمكن ذكره هنا كأبي حنيفة ومالك والاوزاعي والليث والثوري والشافعي وابن المبارك واحمد واسحاق وأبي عبيد والبخاري وغيرهم من أئمة الحديث وكلهم على ذلك مجمعون ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون

وحكى غير واحد الاجماع على ذلك. قال الامام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقا ومصراً وشاما ويمنا فكان في مذاهبهم أن الايمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله وان الله

تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علما، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

وقد ذكرتم أن بعض السلف قال بخلق القرآن كابن المديني فلا شك أن ابن المديني وابن معين وغيرهما من أئمة الحديث أجابوا في المحنة كرها واعتذروا بالاكراه لما عاب عليهم الائمة وهجرهم الامام أحمد ولم يعذرهم واحتج عليه ابن معين بعمار رضي الله عنه حين أكرهه أهل مكة على كلام الكفر ورد عليه أحمد بأن قال إن عماراً ضرب وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم ومن المعلوم انه لم يثبت في المحنة الا القليل والاكثرون أجابوا مكرهين ومن نسب القول بذلك الى ابن المديني أو غيره من أهل الحديث بعد تصريحهم بأنهم انما أجابوا كرها فقد قال مالا يعلم ونسب اليهم ما هم براء منه وذكرتم أن ابن علية قال بذلك فهذا لا ينكر وابن علية معروف عند أهل السنة بالبدعة وكلام الائمة في ذمه كثير والبخاري وإن روى عنه فهو عنده من أهل البدع وقد روى البخاري عن غيره من أهل البدع لان الرجل اذا عرف منه الصدق والاتقان لما روى جازت الرواية عنه ولا يخرجه ذلك عن كونه مبتدعا قال البيهقي في مناقبه ذكر الشافعي إبراهيم ابن علية فقال أنا مخالف له في كل شيء وفي قول لا إله إلا الله لست أقول كما يقول أنا أقول لا إله الا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب وذلك يقول لا اله الا الله الذي خلق كلاما ما أسمعه موسى من وراء حجاب

وأما قولكم ان الصواب في هذه المسألة الوقف وانه هو اعتقادكم لا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق فمضمون هذه المقالة أن الله يحب منا أن نقف موقف الحيارى الشاكين ونبقى في الجهل البسيط لا نعرف الحق

من الباطل ولا الهدى من الضلال (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) وان الله يحب عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويحب منا الحيرة والشك ومن المعلوم ان الله لا يحب الجهل، ولا الشك، ولا الحيرة، ولا الضلال، وانما يحب الدين والعلم واليقين وقد ذم الله الحيرة بقوله تعالى (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران) ومن المعلوم انه لابد أن يكون كلام الله في نفس الامر مخلوقا أو غير مخلوق لا غير وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتقد أحد الامرين لا غير واذا كان الامر كذلك فلا بد أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد دل أمته على مايعتقدونه من ذلك قال صلى الله عليه وسلم «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك» وقال فيما صح عنه أيضا «مابعث الله من نبي الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير مايعلمه لهم وينهاهم عن شر مايعلمه لهم» وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما. محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة ان لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة

فقد علم ماسيكون ثم قال « اني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله » فالرب سبحانه وتعالى عالم بما سيقع من التنازع فقال (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ومن المحال أن يأمرهم برد ماتنازعوا فيه الى مالا يفصل النزاع ويبين الحق من الباطل وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام من الليل يصلي (اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » فهو يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف وقد قال الله له وقل (رب زدني علما) وأيضا فالشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين غاية مافي الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الاثبات يسكت فأما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكر على هذا العالم المتبع للرسول العالم بالمنقول والمعقول قال الامام أحمد رحمه الله من لم يقل : القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول مخلوق والامر كما قال رحمه الله فانا نجد بعض من يقول بالوقف يعيب على من ينفي الخلق عن كلام الله ويحتج عليه بحجج القائلين بالخلق كما أوردتم شيئا من ذلك وعبتم على الامام أحمد رحمه الله في كلامه في هذه المسألة قلتم ان أحمد جعل هذه المسألة عديلة التوحيد قلتم ذلك اتباعا لمن استوفى نصيبه

من الحمق والجهل صاحب الكتاب المسمى بالعلم الشامخ وقد عاب في كتابه ذلك على الامام أحمد ونسبه الا التعصب وطعن أيضا على غيره من أئمة الحديث وأهل السنة ولقد أحسن القائل :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل.

فلو أن هذا المسكين أمسك لسانه عن تنقص أئمة الاسلام لكان أستر له وهو لم يضر الا نفسه، لا يضرهم كلامه كما قيل :

وهل حط قدر البدر عند طلوعه كلاب اذا ما أنكرته فهرّت

وما إن يضر البحر أن قام أحمق على شطه يرمي اليه بصخرة

والذي ينبغي لهذا وأمثاله اذ هجمت بهم ذنوبهم عن استبانة الحق ان يمسكوا ألسنتهم عن عيب اهل السنة والطعن عليهم ويلجؤا الى الله في سؤال الهداية نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فصل

وقد ذكرتم قول الجهمية أن موسى لم يسمع كلام الله منه انما سمعه من غيره من الشجرة أو غيرها لان الكلام لا يكون الا من جوف وفم ولسان وشفتين

فاما قولكم إن موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة وانما سمعه من غيره فهذا ظاهر البطلان لانه لا يجوز لغير الله ان يقول (ياموسى اني انا الله رب العالمين، ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية

والالهية ولو كان كما زعم القائل أن المخاطب لموسى غير الله كان يقول ذلك المخاطب ياموسى ان الله رب العالمين، ياموسى الله ربك لايجوز له أن يقول انى انا الله رب العالمين انى أنا ربك وهذا مما احتج به الامام أحمد على الجهمية فياله من بيان ماأوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع

واما قولكم ان الكلام لايكون الا من جوف وفم ولسان وشفتين فهذا باطل لان الله تعالى قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالت اتينا طائعين اتراها قالت بفم ولسان وشفتين والجوارح اذا شهدت على الكافر فقالوا لمشهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اتراها نطقت بلسان وادوات وقال (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) اتراها تكلمت بجوف وفم ولسان وشفتين ولكن الله انطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير ان نقول بجوف ولا فم ولا لسان ولا شفتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم « انى لاعرف حجرا كان يسلم علي» وسبح الحصا في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكف أبي بكر وعمر وعثمان وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وجاء أن في آخر الزمان يكلم الرجل سوطه ونحو ذلك كثير ولا خلاف فى أن الله قادر على أن ينطق الحجر الاصم من غير مخارج فبطل ماادعوه من أن الحروف لاتكون الا من مخارج ومن الدليل على اتصاف الله بالكلام حقيقة قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا) نبه بهذا الدليل على أن من لايكلم ولا يهدي لايصلح أن يكون الها وكذلك قوله تعالى في الآية الاخرى عن العجل (أفلا يرون ان لا يرجع

الهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) فجعل امتناع صفة الكلام والتكلم وعدم ملك الضر والنفع دليلا على عدم الالهية وهذا دليل عقلي سمعي على ان الاله لابد ان يكلم ويتكلم ويملك لعابده الضر والنفع والا لم يكن الها، ومما استدل به احمد وغيره من الائمة على أن كلام الله غير مخلوق قوله تعالى (الا له الخلق والامر) قالوا فلما قال الاله الخلق لم يبق شيء مخلوق الا كان داخلا في ذلك ثم ذكر ماليس بمخلوق فقال والامر وأمره هو قوله تبارك وتعالى فلا يكون خلقا واستدل الامام احمد رحمه الله ايضا على الجهمية لما قالوا ان كلام الله مخلوق فقال وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ففي مذهبكم ان الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم فتكلم وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما فجمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة ومما يبين أن السلف كانوا يعتقدون ان كلام الله غير مخلوق انهم اوجبوا الكفارة على من حلف بالقرآن اذا حنث في يمينه وقال بعض الصحابة عليه بكل آية كفارة، سمع ابن مسعود رجلا يحلف بالقرآن فقال أتراه مكفراً، إن عليه بكل آية كفارة

وقد أجمعوا على انه لايجوز الحلف بالمخلوق ولا تنعقد به اليمين، فلو كان القرآن مخلوقا عندهم لم يجيزوا الحلف به ولم يوجبوا على الحالف به اذا حنث كفارة لانه حلف بشيء مخلوق. وأيضا من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان اسم الله في القرآن مخلوق فيلزمه ان من حلف بالله الذي لا إله الا هو لايحنث لانه حلف بشيء مخلوق. قال الامام احمد

في كتاب الرد على الجهمية ، وزعمت ان اسم الله في القرآن انما هو اسم مخلوق ، فقلنا قبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه . قالوا لم يكن له اسم فقلنا قبل أن يخلق العلم أكان جاهلا لا يعلم حتى خلق لنفسه علما ، وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نورا ، وكان لا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ، فعلم الخبيث ان الله قد فضحه وأبدى عورته للناس حين زعم ان الله سبحانه في القرآن انما هو اسم مخلوق . فقلنا للجهمي لو ان رجلا حلف بالله الذي لا إله الا هو كاذبا لا يحنث لانه حلف بشيء مخلوق ولم يحلف بالخالق ففضحه الله في هذه . وقلنا للجهمي أليس النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء من بعدهم والقضاة والحكام انما كانوا يحلفون الناس بالله الذي لا اله الا هو وكانوا مخطئين في مذهبكم انما كان ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن بعده في مذهبكم أن يحلفوا بالذي اسمه الله واذا أرادوا أن يقولوا لا اله الا الله قالوا لا اله الا الذي خلق الله والا لم يصح توحيدهم ، ففضحه الله لما ادعى على الله الكذب . وأيضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بكلمات الله وأرشد الامة الى ذلك فقال فيما ثبت في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » ففي هذا دليل صريح على ان كلام الله غير مخلوق لان الاستعاذة بالمخلوق شرك ، والنبي صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الشرك

فصل

وقد ذكرنا فيما تقدم ان مذهب أهل السنة ان الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله بالصوت والصوت هو مايتأتى سماعه والقرآن والسنة يدلان على ان الله يتكلم بصوت قال الله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن) الآية وقال تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ـ الى قوله ـ ياموسى اني أنا الله العزيز الحكيم) وقال تعالى (فلما أتاها نودي ياموسي اني أنا ربك) وقال تعالى (واذ نادى ربك موسى) وقال (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) والنداء لايكون الا بصوت ، فدل على انه كلمه بصوت وموسى لم يسمع الا الحرف والصوت هذا مما يعلم بالاضطرار وقال تعالى (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقال (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) الآية . والآيات في ذلك كثيرة

وأما السنة ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار» الحديث وروى عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله الناس يوم القيامة ـ وأشار بيده الى الشام ـ عراة غرلا بهما » قال ـ قلت مابهما ؟ قال « ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد

من اهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من اهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار واحد من اهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه » قالوا وكيف وانما نأتي الله عراة غرلا ؟ قال « بالحسنات والسيئات » رواه احمد وجماعة من الائمة . وقال عبد الله بن احمد سألت أبي فقلت ان الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما يدورون على التعطيل . ثم قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ثنا سليمان ابن مهران الاعمش قال ثنا ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء فيخرون سجداً حتى اذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم نادى أهل السماء اهل السماء ماذا قال ربكم . قالوا الحق قال كذا وكذا ذكره عبد الله في كتاب السنة بهذا الاسناد ، ورواه ابو بكر الخلال وروى ابن ابي حاتم في الرد على الجهمية قال أخبرنا ابو زرعة اخبرنا عثمان بن ابي شيبة اخبرنا جرير عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى اذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات له صوتا كصوت الحديد اذا وقع على الصفا فيخرون له سجداً فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير

وقد قدمنا ماحكاه الامام أحمد عن الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذى سمعته هو كلامك قال ياموسى هو كلامي الى أن قال: فلما رجع موسى الى قومه قالوا صف لنا كلام ربك قال سبحان الله وهل استطيع أن أصفه لكم قالوا فشبهه قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله وتقدم أيضا ماروا عبد الله بن أحمد عن محمد بن كعب قال قال

بنو إسرائيل لموسى بم شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق ؟ قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الله هدايته (ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا) وذكر ابو الفرج عبد الرحمن بن الفقيه نجم الدين الحنبلي قال كنت يوما عند القاضي فتناظروا في مسئلة القرآن وعندنا طرحان الضرير فقال لنا اسمعوا مني حكاية قلنا هات قال تناظر اشعري وحنبلي فقال الاشعرى للحنبلي اخبرني اذا وقفك الله غدا بين يديه فقال لك من أين قلت ان كلامي بحرف وصوت فماذا يكون جوابك فقال الحنبلي أقول يارب هو ذا أنا أسمع كلامك بحرف وصوت قال ثم سكت فلم يرد هذا شيئا فبهت القاضي ولم يدر مايقول وانقطع الكلام على هذا

واحتج من ينفي الصوت بأن قال الصوت انما هو أنين جرمين والله سبحانه متقدس عن ذلك (والجواب) أن يقال فهذا قياس منكم لله على خلقه وتشبيه له بعباده والله تعالى لا يقاس على مخلوقاته ولا يشبه بمصنوعاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وايضا فانه يلزمهم سائر الصفات التي اثبتوها فان العلم في حقنا لا يكون الا من قلب والنظر لا يكون الا من حدقة والسمع لا يكون الا من انخراق والحياة لا تكون الا في جسم والله تعالى يوصف بهذه الصفات من غير أن يوصف بهذه الادوات فكذلك الصوت وإلا فما الفرق ؟ واتفق سلف الامة وأئمتها على ان القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله تعالى فالصوت المسموع صوت القاريء والكلام كلام الباري فهم يميزون ماقام بالعبد وما قام بالرب تبارك وتعالى ولم يقل احد منهم ان اصوات العباد ولامداد المصاحف قديم مع اتفاقهم ان

المثبت بين لوحي المصحف كلام الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن باصواتكم» فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله والاصوات التي يقرؤن بها اصواتهم فالكلام شيء والصوت شيء اخر هذا مما لا يخفى على من لم يرسخ التعطيل في قلبه ثم ليعلم ان معتمدنا في اثبات الصفات على الكتاب والسنة فما جاء فيهما فهو الحق والصدق لا يجوز التعريج على ماسواه ولا الالتفات الى مذيان يخالفه فان الله تعالى امرنا بالاخذ بكتابه والاقتداء برسوله واخبر عن رسوله انه قال (ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال (اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) وقال سبحانه وتعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي — الى قوله — فالذين امنوا به وعذروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون) وقال (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وها نحن قد بينا ان قولنا في الكتاب والسنة واجماع الامة فهاتوا ان في الكتاب او السنة او قول صحابي أو امام مرضي ان الله لم يتكلم او انه يتكلم مجازا او ان كلامه مخلوق او انه لا يتكلم بحرف وصوت ولن تجدوا الى ذلك سبيلا فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن العقول الذي تخالف الكتاب والسنة وقال بقول اهل السنة وترك دين جهم وشيعته جعلنا الله سبحانه ممن هدي الى صراطه المستقيم ووفقنا لاتباع رضى رب العالمين والاقتداء بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والسلف الصالحين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين